المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:07، العدد:01 (2023)، ص86-101

مظاهر الاعتناء بالأبدان وجمال الأزياء في التراث الأندلسي

Manifestations of body care and fashion beauty in Andalusian heritage

مريامة لعناني
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)
lanani.meriama3@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/02/28
تاريخ القبول:
2023/04/07

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الأزياء
- ✓ الألوان
- ✓ المجتمع الأندلسي
- ✓ النظافة

الملخص:

إن دراسة موضوع الاعتناء بالأبدان وجمال الأزياء في التراث الأندلسي دراسة تاريخية تتطلب من الباحث استقراء مختلف النصوص التاريخية التي يمكن أن تقدم معلومات حول اهتمام المجتمع الأندلسي بالنظافة والغذاء الجيد وجمال الزي.

فبعد تتبع مجموعة من النصوص توصل البحث إلى استخلاص أن المجتمع الأندلسي يعد أكثر المجتمعات اعتناء بالنظافة وتناول الغذاء الجيد، واهتماما بجمال الهندام وزينته، مع مراعاته لاختيار ما يناسبه من الأزياء والألبسة باعتبار الفصول والمناسبات، إضافة إلى حسن استخدام ألوان الألبسة والتنسيق في ارتدائها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الرقي الحضاري للمجتمع الأندلسي.

Article info

Received:
28/02/2023
Accepted:
07/04/2023

Key words:
- ✓ fashions
- ✓ colors
- ✓ Andalusian society
- ✓ Hygiene

Abstract:

The study of the topic of body care and fashion beauty in Andalusian society is a hitorical study that requires the research to exploit various historical texts that can provide information about the interest of the Andalusian individual in good beauty and uniform.

Following a series of texts, the research concluded that Andalusian society is the most caring society of hygiene, eating good and paying attention to the beauty of indulgence and decorating it, taking into account the choice of suitable costumes and clothing as seasons and occasions, as well as the use of clothing and coordination in wearing them . This, if anything, demonstrates the cultural upliftment of Andalusian society.

مظاهر الاعتناء بالأبدان وجمال الأزياء في التراث الأندلسي

مقدمة

يعد الجمال أسمى القيم في المجتمعات، ومن المحاور الأكثر اهتماما بين المفكرين والعلماء، حيث ربطوه بمدى الرقي الإنساني منذ القدم، ولذلك فقد حرص الإسلام منذ مجيئه على نشر قيمة الجمال في المجتمع، حيث اهتم بشقّيه الروحي والمادي، فكما جاء الإسلام لإتمام مكارم الأخلاق فقد حث على العناية بجمال الهندام وحسن المظهر، وذلك بالحرص على النظافة والتجمل والزينة، والحفاظ على صحة الجسم وقوته.

وفي عصرنا الحالي يعد موضوع جمال الهندام محل اهتمام الدراسات الدينية والنفسية والاجتماعية والأدبية، ويمثل عالم الموضة، ويساهم في التجارة والنمو الاقتصادي، ولأهمية الموضوع ارتأيت أن أدرسه دراسة تاريخية، فاخترت مجتمع الأندلس في العصر الوسيط، نظرا لرقي هذا المجتمع في مختلف مجالات الحياة، وأحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة عن الإشكاليات الآتية: **ما هي أهم الجماليات التي أضفاها المجتمع الأندلسي على الهندام؟ وما هي أهم الطرق والأساليب التي اعتمدها للحفاظ على نظافة بدنه وغذائه؟ وكيف عمل على الحفاظ على سلامة بدنه وجماله؟ وما هي أهم معايير الجمال المعتمدة في هذا المجتمع؟ وفيم تمثلت أزياؤه؟ وكيف اعتنى بها؟**

1.العناية بالجسم نظافة وغذاء

تتطلب العناية الجسدية الاهتمام بنظافة الجسم ونظافة الغذاء وسلامته، لأن النظافة والغذاء الجيد أساس بقاء الأبدان وحفظها من العلل والأمراض، وهذا ما نجده في المجتمع الأندلسي الذي يهتم أفراده بالجسم، ويعتبر ذلك من سمات الجمال، حيث إن المصادر الأندلسية، تقدم لنا معلومات وفيرة عن هذا الجانب، وتُمدُّنا بنصوص تؤكِّد لنا مدى حرص الأندلسيين على نظافة أجسامهم، ونظافة محيطهم وغذائهم.

1.1.العناية بنظافة البدن وطيب رائحته

كان الأندلسيون يهتمون بالبدن ونظافته، وهو ما ذهب إليه المقري حين قال: "**أهل الأندلس أشدُّ الخلق اعتناء بنظافة ما يلبِسون، وما يفرِشون، وغير ذلك مما يتعلَّق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلاّ ما يقوِّته يومه، فيَطْويه صائما، ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو عنها العين**" (المقري 1986، 223/1).

واهتمت بذكره المصادر الجغرافية والرحلة، باعتبار أن الرحالة والجغرافيين هم أكثر ملاحظة للمجتمعات ومظاهر الحياة، فترد في كتبهم نصوص كثيرة تشير على سبيل المثال إلى الاهتمام بتنظيف وغسل الشعر واعتياد ذلك (الإدريسي 1983، ص276) (العمري، د.ت، 106/4)، وهذا ما نجده أيضا ضمن المصنفات الفقهية، كالحسبة، حيث عمل المحتسبة على نَبذِ كلِّ من أطال شعره، وطبَّقوا فيه أحكام التأديب، من قصٍّ وحَلقٍ؛ لأنّها ترى في الشعر الطويل شرا وذُعرا (ابن عبدون 1934، ص59).

واهتم الشعراء كذلك بالأمر، ففي أشعارهم نجد حديثا عن مظهر العاشق الذي يجب أن يكون نظيف الثياب والجسم، لأن مظهره الحسن يزيد من قرب المعشوق (ابن قزمان، 1980، ص242)، ويصور لنا أحدهم،

وهو **ابن قزمان** في مقتطف من ديوانه أن الغلاء وضيق حاله جعل منه رجلا وسخا يشتكي حاله، حيث لم يجد مالاً ليدفع به أجرة الحمام والحلاق، مبينا أهمية النظافة واللباس الأنيق (ابن قزمان، 1980، ص242).

أما المستشرقون فقد انبهروا هم الآخرون باهتمام الأندلسيين بالنظافة، واعتبروا أن الأندلسيات اللواتي كن دائمات النظافة، قد أثَّرن في المسيحيات اللواتي أصبحن يغتسلن، رغم كون عادتهن على عكس ذلك (أميركو، 2002، ص35)، لأن كما يذكر أحد الجغرافيين العرب أن المسيحيين: " **لا أقذر منهم (...) لا يتنظَّفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة واحدة أو مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ ما يلبسونها إلى أن تنقطع عليهم**" (الحميري، 1980، ص66).

أما الاغتسال والتنظيف في الحمَّامات، فذلك معروف عن الأندلسيين مشهور عندهم؛ لكثرة الحمَّامات التي كثيرا ما ورد ذكرها عند الرحالة والجغرافيين (الحميري 1980، ص58، 69، 119) (الحموي، د.ت، 221/4)، فلم يتوقف البعد الصحي الأندلسي عند الماء كغذاء، وإنما اهتموا بمياه الاستحمام وفوائده، حيث نجد في المصادر مدى أهمية الحمَّام في تنقية الجلد، وإزالة الوسخ، وتطهير البدن (الحميري 1980، ص102). كما أن النساء الأندلسيات يحرصن على الذهاب إلى الحمَّامات، والبقاء فيها مدة طويلة، وهذا ما تذكره نصوص العامة، في قولها: "**مْشَتْ لَلْحَمَّامْ غابت سبعة أيام**" (الزجالي، 1971، 338/2).

وقد استعمل الأندلسيون بعض المواد لتنظيف الأبدان، كماء السَّلق ودُرْدي الشَّراب، والصابون (السقطي، 1931، ص52)، هذا الأخير الذي حرص الأندلسيون على ابتياعه كما ذكر المقري_ ذكر النص سابقا_ فإنه أيضا كان محل اهتمام للشعراء فوصفوه بالشيء الذي لا يستغنى عنه، فجاء على لسان أحدهم:(بحر الوافر) (الأمير، د.ت، ص133)

وَأَسْمَرُ يُصْرِفُ السُّودان بِيـضًا ويخشى الشمسَ أَن تَعْدُو عليه
لَهُ فِي صُنْـعِهِ سِرٌّ مَلِيـحٌ وَكُلُّ النَّـاسِ مُحْتَاجٌ إِليـه

كما أن هناك أدوات يستخدمها المستحِّم كاللِّيْف الذي يستعمل للحكِّ به في الحمَّام (السقطي 1931، ص67)، والمُشط الذي اتَّخذه الأندلسيون من الفضة، وخاصة عند عليَّة القوم (ابن سعيد 1955، 256/2).

أما المستحضرات فهي كثيرة، تُعِدُّها الأسرة لتغيير الروائح الكريهة للجسم كله، وقد جاء ذكرها في كتب الطبيخ بأسماء مختلفة منها: الأشنان أو الغاسول، وتتنوع وظيفة هذه المستحضرات، فمنها ما هو لتنظيف اليد وتطييب الرائحة وإصلاح الفم واللثة، وما هو لتطييب البدن، فاستُخدم "**الصَّندَل** (ابن منظور، د.ت، ص2507)، **والورد، ومُرتَّك المُربَّى بماء الورد، والباخورات، وللثياب الذُّرور المُطيِّبة**" (السقطي، 1931، ص52)، وحتى الأجزاء الأخرى من الجسد كالفم والأنف، فقد استعملت وصفات لإزالة وتغيير رائحتها، مثل: "**وصفة العود الرطب والكُزبُرة وقشر الأُترُجِّ، أما الأنف فبسُعُوط من دهن الموز والبنفسج والنَّيلوفَر والياسمين**" (السقطي، 1931، ص52)، واستخدم مستحضرات أيضا لإزالة روائح الأطعمة الدسمة (ابن رزين، 1984، ص277-279)، وذلك

بعد إعداد الطعام أو تناوله، ومنها ما لا يختص بالطعام وحده، وإنما يوضع أيضا لتطييب الرائحة وإزالة الكَلَف والنَّمش وترطيب الأطراف (ابن رزين، 1984، ص279).

وقد استعمل الفرد الأندلسي أيضا أنواع الطِّيب، التي يذكر المقري أصولها في خمسة أصناف، وهي: العنبر والكافور والمسك والعود والزعفران (المقري 1986، 199/1)، وهذه الأصناف الخمسة أيضا قد عنت بها المصادر الأخرى كالتراجم، التي تذكر أن أحدهم كان يكثر من استعمال أفضل الطيب (الأنصاري، 1965، 260/5)، كما يذكر ابن قزمان إحدى تلك الأصناف وهو العنبر، ويفضله على سائر أنواع الطيب، ولا تطيب في نظره إذا لم يستعمل العنبر (ابن قزمان، 1980، ص106)، في حين نجد إشارات أخرى إلى أنّ بعضهم يستعمل من الطيب ما لم يذكر آنفا، وهو ماء الورد القرطبي (ابن صعد، د.ت، ص44). إضافة إلى ذلك، ما يتزيَّن به الفرد من خِضاب، فكان الفرد ذكرا أو أنثى يستعمل لشعره الخضاب، وكثيرا ما عهد ذلك، واعتبره من سمات الجمال (العمري د.ت، 106/2/4).

2.1.نظافة الغذاء وسلامته

وأما نظافة الغذاء، فانطلاقا من أمثال العامة التي تفيدنا ببعض المعلومات، خاصة نظافة أواني الطبخ والطبَّاخ في قولها: "**قَدْرَةْ الزَّفْتْ مَا يَطْبَخْ فِيهَا المْعَسَّلِ**" (الزجالي، 1971، 418/2)، أي أن القدر الوسخة لا يمكن أن تُطبخ فيها الأطعمة وخاصة اللاصقة منها، كالحلوى والمعسَّلات، وقول العامة أيضا في استنكارها لوسَخ الطبَّاخ: "**أَقْذَرْ مَنْ وَلْدْ نَاصَرْ الطَّبَّاخْ**" (الزجالي، 1971، 115/2)، إذ يفهم من هذا القول أن هذا الرجل "**ولد ناصر**" كان طباخا قذرا، حتى عافته نفوس الأندلسيين، وأصبح مضرب المثل في القذارة.

وهذا ما تدعمه كتب الطبيخ، التي تذكر في مواضع عدة ضرورة نظافة الأواني والمواد الغذائية، ومثال ذلك ما جاء في إحدى الفقرات: "**أن أول ما يجب أن يبتدأ به في صناعة الطبخ: التحفظ في تناولها من الأوساخ والعفونات، وتنظيف الأواني المستعملة لذلك، مع نظافة الطباخ**" (مجهول، 1961، 79/9)، وفي ذلك ما يلقي في النفس إقبالا على الطعام، فإذا رأى الإنسان الطريقة النظيفة في إعداد الطعام فإن نفسه تثق به فيتناوله وهو يعلم حقيقته.

ونجد في كل وصفة من وصفات الطعام ذكرا لضرورة غسل الأواني والمواد الغذائية (مجهول، 1961، 1/9)، واستعمال الماء الحار المغلَّى (مجهول، 1961، 43/9)، ولا يكفي تنظيفها بالماء البارد، مع وجوب تكرار عملية التنظيف به، أو بنوع من الصُّنَّاب أو الغسول (مجهول، 1961، 55/9). وهذا دليل على شدة اعتناء الأندلسيين بنظافة الغذاء والبدن.

ولا يكتمل ذلك إلا بتناول الأغذية السليمة، ومراعاة تغير الفصول والأماكن، وغيرها من متغيرات الحياة، ولذلك فقد حرص الأندلسيون على وقاية أجسامهم وحفظ صحتها بالحِمْيَة قبل اللجوء إلى التطبيب، فنجد في أمثالهم إحدى الحميات التي يتبعونها، اعتقادا منهم أنها تُعفيهم من الطبيب في قولهم: "**كُلْ الزِّيتْ وْلَا تَمْشِي لَطْبِيبْ**" (الزجالي، 1971، 261/2)، فالزيت تقي أجسامهم من الإصابة بالأمراض، وهناك شواهد طبية تؤكد

بأن الزيت صالحة للجسم، كما جاء في كليات **ابن رشد** القائل أن: "**الزيت ملائم بجملة جوهره للإنسان جيد**" (ابن رشد، 1998، ص399).

ولم تكن مصادرهم التاريخية، على منأى من ذلك، فنجد في ثناياها نصائح وقائية من بينها: "**الخبز النقي واللحم الثَّنِيُّ والشراب الحولي، فمن اقتصر على هذه دون تخليط لم يزل صحيح الجسم قوي البنية**" (الزيري، د.ت، ص193)، وأريد بهذا النوع من الطعام الحِمية بالخبز الجيد ثم اللحم الثني؛ أي الذي لا شحوم ولا عظام فيه، أما الشراب الحولي فهو كل شراب خاص بفصله وأيامه، فإذا شرب في وقته فلن يضر الإنسان، وينصح الأطباء ببعض الأشربة، التي تنفع الأصحاء أيضا، وتبقي عليهم صحتهم وتديمها (ابن زهر، د.ت، ص436).

وإذا نظرنا في كتب الطبيخ، فإننا نجد ما يسمى بالتوازن الغذائي، حيث يختتم ذكر معظم الأطباق بملاحظات حول فائدة الطبق في حفظ صحة الفرد، فقد يتبادر من وصفات الأطباق بأن مكوناتها كثيرة وأنها ثقيلة على الجسم خاصة دهونها، مما يجعل المؤلف الذي يصف طبقا ما، يشير في نهاية الوصفة إلى فائدة الطبق في علاج مرض كذا أو كذا، وكأنها نصائح وقائية للجسم، فمنها مثلا ما يزيد من قوة من أضعفه المرض (مجهول، 1961، 25/9)، وما هو صالح للمعدة والكبد (مجهول، 1961، 38/9)، وما هو منبه لشهوة الطعام (مجهول، 1961، 160/9)، وما يقوي القلب (مجهول، 1961، 161/9)، وما يقوي البصر والسمع وسائر الحواس (ابن زهر، د.ت، ص439-446).

أما عن الأشربة والمعاجين، فهي في معظمها مذكورة في ثنايا كتب الطب، وكل مشروب له مجاله الذي يستغل فيه، وفائدته الصحية، كشراب البنفسجي، الذي يقي من الحمى الصفراوية، ويلين البطن، وينفع للسعال اليابس (ابن رشد، 1998، ص484)، وشراب المُصطَكِّي (ابن رشد، 1998، ص430) الذي يقطع القيء، ويقوي البدن، ويساعد في هضم الطعام (مجهول، 1961، 239/9)، وشراب النعنع الذي ينصح به الأطباء عند استكمال كل وجبة غذائية (مجهول، 1961، 240/9)، وكذلك المعاجين التي تعد صحية وقائية، ومن بينها معجون السَّفرجل، الذي يذهب مرارة الفم، ويشهي الطعام (مجهول، 1961، 249/9)، ومعجون الورد الذي يقوي المعدة والكبد (مجهول، 1961، 250/9).

ومن كل هذا، نأخذ العناية بالطفل في البيت الأندلسي مثالا لمعرفة بعض الطرق والأساليب في النظافة والتغذية، التي نذكر منها: نثر الحناء على بدن الرضيع، وإضافة مقدار ثلثها رَيحانًا مسحوقا ومقدار سدسها مِلحًا (الخطابي، 1994، ص148)، وغسل الرضيع كل يوم بالماء الفاتر، والحرص على رياضته وهو في المهد، فقبل الإرضاع يرتاض ثم يستحمّ ثم يرضع ويوضع للنوم (الخطابي، 1994)، أما غذاؤه فقد نصح الأطباء باللَّبن وإدخال بعض الأطعمة الليِّنة عليه (ابن رشد، 1998، ص475)، وهكذا حتى بعد الفطام، حيث يراعى على الدوام الرياضة والحمَّام والغذاء الجيد (ابن رشد، 1998، ص474-475).

2. معايير الجمال والاهتمام بالتجميل والزينة عند المرأة الأندلسية

لقد كانت المرأة ولاتزال رمز الجمال، ومحل الوصف والمدح والذم في المجتمعات منذ القدم، فقد حُدِّدت

على إثرها مختلف معايير الجمال، وهذا ما عرف في المجتمعات الإسلامية أيضا، وخصوصا المجتمع الأندلسي الذي تحدّثنا عنه مختلف نصوص النوازل والأزجال وأمثال العامة التي تمثل لسان حال عموم المجتمع.

1.2. معايير جمال المرأة في المجتمع الأندلسي

لقد ذكرت الأمثال مختلف اعتبارات الجمال بصيغة الاستحسان أو الاستقباح، فكان جلُّ تركيزهم على المرأة الحسناء، ومصطلح الحسناء عندهم يقابل الدَّميمة التي يستهزئون بها، وذلك في قولهم: "**لَا مْلِيحَ ولَا الدَّارْ مْعَاهَا**"، ويوافق من تكون شقراء (الشقراء في معظم الحالات ليست لا عربية ولا بربرية، فإما أن تكون من المولدين أو المسيحيين، وبهذا يمكن أن نقول أن مسلمي الأندلس كانوا يختارون الأوروبية على العربية والبربرية)، في قولهم: "**أَيْ هُوَ النَّمش ثُم فَتّش**" (الزجالي، 1971، 34/2)، أو بدينة في قولهم: "**الشَّحْمْ زِينْ وَمَنْ فَقَدْ حْزِينْ**" (الزجالي 1971، 34/2)، وما يؤكد حرصهم على البدينة، استهزاؤهم بالنحيفة البدن؛ حيث يشبهونها بنوع من حلوى العيد، وذلك في قولهم: "**خْفَافْ رْشَاقْ بْحَلْ عْصَيَّاتْ الْعِيدْ**" (الزجالي، 1971، 207/2/2).

لكن ليست كل من هي بدينة حسناء، وإنما البدينة الطويلة، وليست القصيرة، لأنهم يعتبرون من خسارة المرء تزوُّجه بدينة قصيرة، في قولهم: "**ثلاثة أشياء مخسورة:...، والشحم في المرأة القصيرة، ...**" (الزجالي، 1971، 169/2)، والعيب الأكبر إذا كانت قصيرة لا بدينة، في قولهم: "**أَيْ هِيَ رُكْبَتْهَا أَيْ هِيَ رَقْبَتْهَا**" (الزجالي، 1971، 34/2)، وهذا الذي يعتبرونه عيبًا يؤكده ابن الخطيب (ت776هـ/ 1374م) في أحد النصوص الذي يذكر فيه مواصفات الجمال في المرأة الأندلسية، لكنه يتأسف في أمر قِصَرهن، فيقول: "**وحريمهم حريم جميل، موصوف بالسحر، وتنعم الجسوم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب النشر، وخفة الحركات...إلا أن الطول يندر فيهن**" (ابن الخطيب، 1973، 40/1).

وهذا ما أدى إلى انتشار عادة سيئة بين النساء للحفاظ على بدانتهن؛ حيث كن يفطرن في شهر رمضان، وينتهكن حرمته فكما تذكر إحدى النوازل، أنه على الرغم من استنكار الفقهاء وإجماعهم على حرمته، إلا أنهن لم يعرن للأحكام الشرعية اهتماما وما كان يهمهن هو محافظتهن على أوزانهن، فكانت المرأة تخشى أنها إذا صامت سينقص وزنها (الونشريسي، 1981، 487/2-488)، وفي نازلة أخرى، فإن إحداهن قد عقد عليها زوجها، ولم يَبْنِ بها بَعدُ، فتركت الصوم خِيفة على بدنها أن ينقص (الونشريسي، 1981، 487/2-488).

وأكثر من ذلك أن العرجاء لم تسلم من استهزاء، فكانوا يرون في تزوُّجها مصلحة لا أكثر، وذلك في قولهم: "**بِعْرَيْجَة تُقْضَى حْوَيْجَة**" (الزجالي، 1971، 129/2)، ووصل بهم الأمر إلى السخرية بالذمِّ في صورة مدح، عن بعض الصفات المستقبحة في المرأة، فيعتبرون هذه الصفات أغلى صفات الجمال، والمثل الآتي يعبر عن موقفهم بأحسن تركيب على حد قولهم: "**الجَمَالْ الفَاخرْ: صغَر العَينين وكِبَر المنَاخرِ**" (الزجالي، 1971، 55/2).

أما الأزجال فاهتمت بوصف جسد المرأة، وكانت ترى فيه الجمال الباهر الذي يستحق الإعجاب، ومثال ذلك ابن قزمان الذي عرف عنه نقده للمرأة إلا أنه وصفها في مظهرها بشتى صفات الجمال، وذلك في قوله:

"**مَنْ رَأَى مْلِيحَ بْحَلْ هْـــــلَالْ**

كِتَفَّاحْ بْعَيْنِي مَنْ تَحْتْ الدْلَالْ

حَوَّاء السَّمْرَ وَأَمْلَحْ مَنْ غْزَالْ" (الزجالي، 1971، 336/2).

فيشبه بذلك جمالها بالهلال عند طلوعه، وبالتفاح في بهائه، ويضيف إلى ذلك قوله:

"**شَطْ بِيضْ مِثْلْ القْطُون**

عِينْ كَحْلَ وَالحَاجَبْ مَقْرُون" (الزجالي، 1971، 336/2).

2.2.وسائل زينة المرأة الأندلسية وأدواتها

لقد كانت المرأة الأندلسية أكثر الأفراد اهتماما بالزينة، فقد صنعت وصفات خاصة بالجمال، والتي تذكرها لنا كتب الحسبة بوجه خاص، كوصفة تحمير الخدود، التي أطلقت عليها الغاسول، المتمثل في: "**دقيق الباقِلَّا والكَرْسَنَّة خمسة أجزاء ومن عُروق الزعفران وبورَق وحِنَّاء من كل واحد ربع جزء، ويُغمَر بذلك الوجه**" (السقطي، 1931، ص50)، ووصفة تغيير لون العينين من أسود إلى أخضر، بوضع لبن الأتان في عينيها (السقطي، 1931، ص50)، إضافة إلى أنواع العطور والمُصْبَغات (السقطي، 1931، ص50).

وقد عرفت بشغفها بأنواع الحُلَيِّ، التي تشير إليها المصادر المختلفة، دالّة في ذلك على أنّه من زينة المرأة، كالخَلْخَال والقُرْط والقِلادة والسِّوار (ابن سعيد، 1955، 397/1)، التي تزيد من عددها والتنويع فيها خاصة في مختلف المناسبات كالأعياد والأعراس، حيث تتفنَّن في الزينة بأنواع المَصوغات والذهب (ابن الخطيب، 1973، 40/1)، ومن لم تكن تمتلك ما تتزيَّن به فقد كانت تستعيره ممن تعرفها من جارة أو صديقة (البرزلي، د.ت، 297/5-298)، إضافة إلى الحناء في الكفين والكُحْل في العيون (ابن الخطيب، 1973، 353/2)، وغير ذلك مما اعتادت عليه من زينة، ومما يذكره ابن الخطيب في قوله: "**وقد زُيِّنت العيون بالتكحيل والشُّعور بالترجيل، وكُزِّر السواك على مظاهر التقبيل، وطُوِّقت الأعناق بالعقود، وضُرِب الفكر في صفحات الخدود، ومُدَّ بالغالية على مواضِع السجود،...ورُقِّمَت الكفوف بالحناء،...، وغُصَّ الذِّراع بالسِّوار...**" (ابن الخطيب، 1973، 253/2-254).

ونستخلص من هذا أن حياة الأندلسي اتسمت بالتميز والجمال، حيث كان نظيفا في مظهره، تفوح منه رائحة الطيب، متحلِّيا بأنواع وصفات الزينة، كقصِّ الشعر واستعمال الصابون والعنبر وماء الورد، وتميزت المرأة في ذلك أكثر، فإضافة إلى النظافة وأنواع الطيب، كانت تستعمل الحلي، ووصفات مختلفة تعطيها لمسات الجمال.

3.الأزياء بين التّنويع والتّنسيق

إذا كان الفرد الأندلسيّ قد اهتم بنظافة الجسم وسلامة الغذاء، فإنّه لم يتغاضَ عن الزيّ أو اللباس، فهناك نصوص تاريخية متنوعة وكثيرة تمدنا بمعلومات قيّمة حول جمال وبهاء ما كان يرتديه الأندلسي، ويتجلّى ذلك فيما سنعرضه في العناصر الآتية:

1.3.الأزياء حسب الطبقة والفئة الاجتماعية

تتطلب دراسة هذا العنصر تقسيمه إلى عدة أجزاء، نحاول خلالها معرفة أهم أزياء الفئات في المجتمع الأندلسي، وهي كالآتي:

1.1.3.فئة العلماء

امتاز زيّ العلماء والفقهاء والقضاة في الأندلس بميزات تختلف كثيرا عما كانت ترتَدِيه الفئات الأخرى، وذلك في: لباس الغِفارَة، الذي حصرته الأمثال في فئة النخبة، في قولها: "**ثْلاَثَة مَنْ النَّاس مَا يَلْبَاسْ غِفَارْ: صَيَّادْ بْصَنَّارَة، وَمَيَّارْ بَحْمَارَة، وَجَنَّانْ بْخَطَّارَة**" (الزجالي، 1971، 170/2)، أي أن هذا اللباس لا يرتديه عامة الناس، وإنما متعلق بفئة المثقفين والعلماء.

ثم نجد بعض الإشارات تؤكد على أن هذا اللباس تميَّز به العلماء (المقري، أزهار الرياض، ص 4/4)، حيث ذكروا مادتها ونوعها ولونها، فلبسوها من صوف، وصبغوها اللون الأحمر والأخضر، بعيدين عن الأصفر الذي كان خاصا لليهود (المقري، 1986، 233/1، 611/2)، والأكثر تأكيدا لذلك ما ورد في أحد مجالس الشعراء، حيث ارتدى الشاعر ابن قزمان غفارة صفراء، فواجهته الشاعرة نزهون بنت القليعي، مستهزئة به، وقرنته مباشرة باليهود ببقرة بني إسرائيل ولونها (العاملي، 1316، ص519).

وهناك نوع آخر من اللباس ارتداه العلماء الأندلسيون، وهو الطَّيلَسان الموضوع على الرأس (العمري، د.ت، 106/4)، كما جاء في أحد المصادر: "**لا تجد في خواصِّ الأندلس، وعوامِّهم من يمشي دون طيلسان، إلا أنّه لا يضعه على رأسه منهم غير عظماء الشيوخ**" (المقري، 1986، 223/1)، فالطيلسان زي يختلف فيه بين العلماء والفئات الأخرى في طريقة وضعه، حيث لا يضعه على الرأس إلا العلماء الكبار، أما الآخرون، فيضعونه: "**على الكتف مَطوِيًّا طيًّا طريفا**" (العمري، د.ت، 106/4) (Dozy 1845, P280)، ثم إن العلماء قد اختصوا بتلك الذُّؤابة، التي لا يضعونها على أكتافهم، وإنما تُسدل تحت الأذن اليسرى (المقري 1986، 223/1)، أو ما يعرف بالتحنُّك (مطلوب، 1995، ص23).

وارتدوا أيضا العمامة، فهناك إشارات كثيرة واردة في المصادر تدل على أن الفقهاء والقضاة والعلماء كانوا يرتدون العمائم (المقري، 1986، 38/1)، لكن هذه العمامة التي لم يرتديها العالم فقط، غير أن العمامة التي كان يرتديها الأندلسيون كانت كبيرة جدا إذا ما قورنت بالعمامة التي كان يرتديها العرب بالمشرق ، (Dozy 1845, 3/97)، ورغم استهزاء العامة بهذا النوع من اللباس (الزجالي، 1971، 246/2)، فإنّ الشواهد التاريخية تؤكد أن العمامة كانت رمزا وتاجًا عربيا، لبسها سادتُهم ورؤساؤهم في الجاهلية والإسلام (الجاحظ، 1968).

ويؤكد المقري ذلك بقوله: "...**لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا مفتيا مشارا إليه إلا وهو بعمامة...**" (المقري 1986، 222/1). ويضيف ابن الخطيب بأنّ الجند العربي هو الآخر كان يرتدي هذه العمائم بقوله: "...**ما شاء في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم، والجند العربي مثلهم...**" (ابن الخطيب، 1973، 38/2).

كما تذكر بعض المصادر: "**أن العمائم تقلُّ في زيِّ أهل الحضْرة**" (ابن الخطيب، 1973، 38/2)، وأن

"**أهل الأندلس لا يتعممون** (العمري، د.ت، 106/4)، **وكثيرا ما يتزيَّ سلاطينهم وجنودهم بزي النصارى المجاورين لهم**" (المقري، 1986، 222/1-223)، رغم أن أهل مدن غرب الأندلس كانوا يلبسون عمائم؛ ولكنها أصغر كثيرا من تلك التي كانت مستعملة في المشرق العربي (شلبي، 1954، ص262)، أما أهل شرقها، فقد تركوا العمائم، وأصبحوا مكشوفي الرؤوس تأثرا بالنصارى المجاورين لهم، ولذلك فتأثرهم هذا جعلهم يستهزئون بهذا اللباس في منطقة دون المناطق الأخرى.

فكما تأثر المسلمون في الأندلس بمجاوريهم من الفرنجة فتركوا العمامة أو جعلوها صغيرة، فقد أثَّروا بلباسهم، إذ أن زي العلماء والفقهاء المسلمين قد وجد طريقه إلى أعظم جامعات أوروبا، وهو حتى عصرنا الحالي، الزي الرسمي للطلاب والمدرسين بعد أن دخل عليه بعض التغيير (شلبي، 1954، ص262-263).

2.1.3.الزهاد

إضافة إلى لباس العلماء، فإنّ الزهاد قد تطبّعوا ببعض أنواع الألبسة، التي تشير إليها بعض المصادر، فورد أن أحدهم: "**أكثر لباسه جُبَّة صوف لا شِعار لها...**" (المراكشي، 1965، 170/5)، كما كان أحدهم "**يرتدي عَباءة من صوف**" (المراكشي، 1965، 250/8)، وكان آخر "**رجلا صالحا متبَتِّلا متقشفا يلبس الصوف**" (ابن عسكر، 1999، ص352)، وارتدى أحدهم أيضا لما أراد التزهد ثوب صوف (القاضي عياض، 2003، ص71)، وآخر عباءة (ع. المراكشي، د.ت، ص220).

3.1.3.اليهود

أما فئة اليهود، فقد اختصت -كما ذكرنا آنفا- باللون الأصفر في لباسها، الذي طالما سخر منه الأندلسيون، ولم تقف عند هذا اللباس، فارتدى أفرادها لباس المسلمين، وخصوصا عَلِيَّتهم، كما يذكر ابن عذاري أنهم: "**شاركوا الناس في الظاهر من أحوالهم، فلا يميَّزون من عباد الله المؤمنين**، (المراكشي، 1983، ص228)، ولذلك فقد عمل المنصور الموحِّدي على تجديد لباس هذه الفئة، فأضاف إلى حضارة الأندلس زيًّا جديدا، يتمثل في إلزامهم لباس "**الشَّكْلَة**" (الزركشي، 1872، ص16) (المغراوي، 2006، ص114) (هويثي، 2003، ص77)، والذي يصفه ابن عذاري بـ: "**صفة كحداد ثكلى المسلمين: أرْدان قمصُهم طول ذراع في عرض ذراع وبرانيس زرق، وقلانس زرق...**" (المراكشي، 1983، ص228)، وقد وصف هذه الشَّكلة أيضا صاحب كتاب "**المعجب**"، حيث جاء وصفه في صورة أخرى إلا أنها تقترب في مجملها من وصف ابن عذاري، فذكر أنها كانت في أبشع صورة حيث تشبه البراديع (ع. المراكشي، د.ت، ص304) وقوله واصفا تلك الشكلة: "...**أكمام مفرطَة السَّعة إلى قريب من أبدانهم وبدلا من العمائم... على أشنع صورة كأنها البراديع تبلُغ إلى تحت آذانهم...**" (ع. المراكشي، د.ت، ص304).

إن تكليف اليهود بهذا اللباس، وتوحيده لهم، ذلك لتمييزهم عن عامة وخاصة المسلمين؛ لأنّه من الصعب معايشة اليهود لنقضهم العهود، واعتيادهم الخداع، فجاء في أمثال الأندلسيين تعبيرا عن ذلك: "**كُلْ مْعَ اليهُودِي وَارْقُد مْعَ نَصْرانِي**" (الزجالي، 1971، 246/2)، والمقصود بذلك أيضا أن اليهودي إذا أكلت معه، فأنت في

حالة يقظة، أما إذا أخذك النوم، فلا تعلم ما سيفعل بك من شدة حقده وبغضه للمسلم.

4.1.3.المترفون

أما إذا نظرنا إلى المجتمع، ودرسنا اللباس حسب الحال الاجتماعية للأفراد، فقد وردت في المصادر الجغرافية نصوصا ساعدتنا على إحصاء بعض ألبسة المترفين على وجه الخصوص، وذلك فيما تذكره من ألبسة مُحكَمة الصَّنعة بديعة الجمال، ففي مرسية والمرية ومالقة كانت تصنع "**ثياب الحرير المُوشَّاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة**" (ابن سعيد، 1955، ص140)، وفي سرقسطة "**الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية**" (الحموي، د.ت، ص240)، وصناعة السِّمَّوْرِ أي الثياب الرقيقة المطرَّزة (الغرناطي، 1955، ص287-288)، أضف إلى ذلك حُلل الحرير النفيسة والدِّيباج (مقديش، د.ت، 159/1)، والسَّقْلاطون (Dozy 1845, P663)، والاصبهاني (لعله نسبة إلى أصبهان)، والمعاجر (مفردها معجر، وهو ثوب تلف به المرأة رأسها) (ابن منظور، د.ت، 2115). وغيرها (الإدريسي، 1983، ص289).

وسمحت لنا كتب التراجم بالتعرف على عادة لباس المترفين، بالإشارة المباشرة عندما ذكرت حياة أحد المترجمين لهم، وكيف أصبح يرتدي ذلك النوع من اللباس، حيث: «**عمد إلى أزياء الملابس التي جرت على عادة المترفين بارتدائها في فصل القرّ (...) ثياب المَلْف والقبَّاطي (Dozy 1845, p302) والبرانس...**» (ا. المراكشي، 1965، 565/1).

5.1.3.عامة المجتمع

أما العامة، فلم ترد في المصادر إشارات مباشرة أو خاصة بها، إلاّ ما ذكر عند الحديث عن لباس كل من المرأة والرجل والطفل، والذي ستتم معالجته في العنصر الموالي.

2.3.اعتبار الجنس والسن في اللباس

إن المعلومات في المصادر المتوفرة بين أيدينا، يمكن لها أن توضح لنا أهم الألبسة التي ارتداها الأندلسيون إناثا وذكورا، كبارا وصغارا، فقد وردت فيها نصوص تشير إلى ذلك.

كان لباس الرجل في الأندلس مما ذكرنا سابقا غفارة وطيلسان وعمامة، وعباءة وجبة، وغير ذلك، بل هناك إشارات واضحة على تلثم وتنقب رجال المرابطين، وغيرهم من أفراد المجتمع، فقد ارتداه غير المرابطين، ليس تأثرا بهم أو تقليدا لهم، وإنما استغله الأندلسيون خاصة عبيدهم، ليوهموا الناس أنهم مرابطون، فيهاجهم الناس ويعملوا على برهم (إحسان، 1978، ص46-47)، وهذا ما جعل أحد المحتسبة ينهى عن ارتدائه لغير المرابطين، وخصوصا الحشم والعبيد (ابن عبدون، 1934، ص26)، إضافة على البرنس كلباس بربري انتقل إلى الأندلس، وارتداه -كما رأينا سابقا- حتى المترفون (سحر، 1996، ص176).

وتأثروا بالنصارى المجاورين لهم خاصة الأمراء كما ذكر المقري (المقري، 1986، 818/2)، فلبسوا مثلا الزنار (الزنار هو خيط غليظ أو حزام من الإبريسم، يشد على الوسط، وعند أهل الأندلس معطف يرتديه الرجل) (الجرجاني، د.ت، ص130). الذي أمتاز به نصارى الأندلس وغيرها من البلاد كالمشرق (المقري، 1986،

818/2)، وتذكر أزجال ابن قزمان نوعا من اللباس في قوله (ابن قزمان، 1980، ص182):

عسى عنكم عفات كاس صبرى حلوه

ثم ساق لي تزمرات لم يكف لي فيها شهوة

حيث يفسر محقق الديوان أن لفظ "**تزمرات**" من التزمير ورأى أنّه مشتق من الزمرة "**البشكنيسة**" الأصل، التي تطلق على سترة خشنة يلبسها أهل الجبال (الأهواني، 1972، ص183-184)، ومن المحتمل أن يكون هذا اللباس قد ارتداه أهل البشكنس في شمال شرق الأندلس، حيث الجبال، فلبسها المسلمون هناك.

أما المرأة الأندلسية، فقبل أن نذكر ونحيط بأهم الألبسة التي ارتدتها، يمكن الإشارة إلى الخطوط العريضة لزيها، حيث تذكر المصادر المختلفة أن أغلب الحرائر الأندلسيات ارتدين الحجاب، كأهل المشرق، أما إماؤهم فكان يتسامح مع حجابهن (التجيبي، د.ت، ص90).

أما تفصيلا، فقد كانت المرأة مغطاة الرأس، حيث عرف عنها الخمار الذي عادة ما يكون من حرير أو كتان أو غير ذلك (اللخمي، 1985، ص148)، واستعملت المعاجر لتغطي وجهها أو تشد بها رأسها (الإدريسي، 1983، ص289)، ووضعت أيضا المقنعة حيث تلفها حول رأسها وتدليها على كتفيها (التجيبي، د.ت، ص90)، ولعادة المرأة المسلمة ارتداء هذا الخمار، فقد تأثرت بها المرأة المسيحية وأصبحت تضع على رأسها خمارا كما يشير أحد المستشرقين (أميركو، 2002، ص35)، وفي مقابل ذلك يذكر لنا اللخمي إحدى الألبسة التي ارتدتها المسلمة، ولم تكن من لباس البربر أو العرب، وإنما تأثرا بالمرأة المسيحية، وهو لباس الكنبوش (اللخمي، 1985، ص180)، الذي كانت تضعه على رأسها تحت مقنعها، ولعله يعود لأصله اللاتيني Cappucion (الأهواني، 1972، ص309).

ثم إنها ارتدت من حلل الحرير الأنواع والأشكال، كالأردية الموشاة بالديباج (مقديش، د.ت، 159/1)، وصنوف الجوهر، وألوان الصباغة المختلفة (أبو الفصل، 1996، ص240)، ولكثرة تلك الطرز منع المنصور الموحدي النساء منها وكفاهن الساذج القليل (المراكشي، 1983، ص174).

ورغم المفارقات في اللباس بين الجنسين إلا أنّ هناك عدة ألبسة يشترك فيها الجنسان، والمصادر المتوفرة تفيدنا ببعضها، خاصة ما جاء في النوازل، فيما تأخذه المرأة للرجل في جهازها، أو عند افتراق الزوجين، وما يفرض على الرجل من توفيره للأم الحاضنة لأبنائه، وأهمها: القمصان، والسراويلات (التجيبي، د.ت، ص90-92)، ومختلف ما يلبس للقدمين، أو ما يقابل النعل، أو الحذاء من: أخفاف (التجيبي، د.ت، ص90)، وأقراق (ابن قزمان، 1980، ص246)، وهراكس (الزجالي، 1971، 26/2)، وبلغ (Dozy 1845, P113).

أما الطفل، فقد حاز هو الآخر بألبسة، تذكر المصادر بعضها في شكل نوازل، بداية من كونه رضيعا، حيث خص لفائف الكتان وحزام ونبيقات ومحشو وفرو وقميص وجويربات (التجيبي، د.ت، ص90)، إضافة إلى الخرقة التي توضع على عنقه؛ لتصون ثيابه من اللعاب، والتي يطلق عليها الأندلسيون اسم البيطر (الأهواني،

1972، 146/17)، وعندما يكبر الرضيع ويصبح صبيا، فإنّ لباسه قميص ومحشو وطويق وغفير وملحفة وقرق وجرموق وجويربات (التجيبي، د.ت، ص90).

3.3.الأزياء حسب الفصول والمناسبات

أما في المناسبات المختلفة، فقد أبرزت المصادر لباس أحزان الأسرة بوجه خاص، والمتمثل في ارتداء البياض في الأحزان، فكانوا بعِيدين عن كل تغيير سلطوي، وهذا اللباس يعود إلى الأمويين الذين تقلدوه نقضا للعباسيين، واستمر عليه المجتمع الأندلسي، فأصبح من عاداته (ابن دحية، د.ت، ص81)، التي تكلم عنها الشعراء في مختلف دواوينهم، فقال أبو الحسن الحصري مثلا: "**بحر الوافر**" (ابن دحية، د.ت، ص81)

إِذَا كَانَ البَيَاضُ لِبَاسَ حُزْنٍ   بِأَنْدَلُسٍ فَذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ

أَلَمْ تَرَنِي لَبِسْتُ بَيَاضَ شَيْبِي   لِأَنِّي قَدْ حَزِنْتُ عَلَى الشَّبَابِ

وقد أعجب أحدهم بأهل الأندلس ولباسهم، فقالوا: (بحر الوافر) (المقري، 1986، 2/440-441)

أَلَا يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ فَطِـــنْتُم   بِلُطْفِكُم إِلَـى أَمْرٍ عَجِيبِ

لَبِســـْتُم فِي مَآتِمِكُم بَيَاضًا   فَجِئْتُم مِنْهُ فِي زِيٍّ غَرِيبِ

صَدَقْتُم فَالبَيَاضُ لِبَاسُ حُزْنٍ   وَلَا حُزْنَ أَشَدُّ مِنَ المَشِيبِ

وفي أيام الأعياد كالجمعة كان الأندلسي يخرج للصلاة مرتديّا أحسن الثياب، وخصّص لذلك لباسا، وكان لا يرتديه إلاّ في هذا اليوم، كالغفارة (التجيبي د.ت، ص90) والطَّيْلَسَانِ المُحَنَّكِ الذي شاع استعماله في صلوات الجمعة (سحر، 1996، 172/27)، وقد وصف ابن الخطيب هذه الهيئة في قوله: "**فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتّحة**" (ابن الخطيب، 1973، 36/2)، أما في الأعياد الأخرى كعيد الفطر والأضحى، فقد اعتاد الأندلسي ارتداء أنظف وأحسن الثياب، ويذكر لنا ابن قزمان ذلك الاهتمام، فيقول (ابن قزمان، 1980، 662):

كُرِيدْ نَلْبَـــسْ فِذَا العِيد   مَحْشُوًّا جْدِيدْ مْشَاكَلْ

حَسَنْ التَّفْصِيل مْلِيحْ جَيِّد   وَاعِ التّــرْبِيــعْ كَــامَلْ

ولم يكتف بهذه المناسبات، وإنما قد خصّ للفصول ألبسة أيضا تذكرها المصادر المختلفة، كما جاء في الإحاطة: "**الملف المصبوغ شتاء، والكتان والحرير والقطن والأردية الإفريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة صيفا**" (ابن الخطيب، 1973، 36/1)، وقبل أن نستخلص من القول لباس الشتاء والصيف، فهناك إشارة لافتة للنظر، تلك المتمثلة في انتقال اللباس الإفريقي والبربري إلى الأندلس، أما الصّبيان، فقد كان لباسهم القُمصان والسَّراويلات في فصل الصيف، والفَرْوِ والمَحْشُوِّ في فصل الشتاء (البرزلي، د.ت، 384/2).

واهتم أهل الأندلس بتغيير اللباس حسب الفصول، لخّصته العامة في إحدى أمثالها قائلة: "**إذا ريتْ الخُوخْ والرمَّان فَكَّر في ثيابك أيها العريان**" (الزجالي، 1971، 04/2)، والعبارة نفسها في ديوان ابن قزمان: "**إذا ريت الخوخ أو الرّمان كذا انظر لنفسك أيها العريان**" (ابن قزمان، 1980، ص134)، فالخوخ والرمان كما نعلم فاكهة من فواكه فصل الخريف، فهي رمز من رموز هذا الفصل، لذلك نصحت العامة في التفكير بتوفير ما يجب ارتداؤه في الفصل القادم، مستعيرة بهذه الرموز إلى تغيير اللباس الصيفي الخفيف بلباس أخشن وأدفأ لفصل الشتاء.

كما أن للنساء لباسا منزليا خاصا، يتمثل في ثياب أفواهُها ضيّقة، وتُخرَق في الأسفل إلى الساق، حيث يساعدهن على ممارسة أشغالهن المنزلية (ابن عبدون، 1934، ص52)، والاهتمام أكثر عند تخصيصهم للنوم ثيابًا (الضبي، 1967، ص94).

4.3.الألوان وعاملا الاختيار والتنسيق

لقد كان الأندلسيون يرتدون الملابس حسب اللون الذي يتلاءم مع الفصل، وفي ذلك يقول صاحب مسالك الأبصار: "**أكثر لباسهم في الشتاء الجُوخ، وفي الصيف البياض**" (العمري، د.ت، 106/4)، فهم يفرقون في لون لباسه بين لون قاتم لفصل الشتاء، وبياض في فصل الصيف، فالأول جاذب للحرارة والدفء، والثاني أقل جذبا، ويفهم من هذا أنهم يخصّصون للأحوال المناخية اللون اللائق بها.

كما كانوا يختارون ألوانا خاصة لبعض الألبسة، مثل الغفائر التي لا تكون إلا حمراء أو خضراء (المقري 1986، 223/1، 611/2) (ابن قزمان، 1980، ص180)، والحُلل مورَّدة (ابن سعيد، 1955، 268/1، 518/2)، والمُعَصْفَر من الثياب (الشنتريني، 1998، 402/3)، وأهم هذه الألوان هو الأخضر (المقري، 1986، 611/2) (ا. المراكشي، 1993، 39/3)، حيث شبهه أحدهم بالذهب، واعتبر لابسه أكثر بهاء وجمالا (ا. المراكشي، 1993، 402/3).

واهتم الأندلسيون أيضا بتنسيق الألوان، حيث كان يختار مع كل لون اللون الذي يناسبه، كما يوضح ابن قزمان في مقطوعة من أزجاله أن الثوب الأزرق تلزمه غفارة خضراء فستقية، في قوله (ابن قزمان، 1980، ص180):

مَنْ لَبِسْ ثَوْبًا سَمَاوِيَا ... مَنْ أَقَامَت الْمَرِيَّة

لاَ تَكُونْ عَلَيهِ غِفَارة ... إلاّ خَضْرًا فُسْتُقِيَّة

وارتدوا أيضا "**عمامة بيضاء (...) وغفارة حمراء على جبَّة خضراء**" (المقري 1986، 211/2)، كما ارتدى آخر "**ثوبا أصفر فوق أحمر**" (ابن الآبار، 1989، ص112). وغيرها من الألوان.

وما هذه الألوان إلاّ أمثلة حصلت عليها من المصادر المختلفة، حاولت من خلالها أن أبَيِّن أن الأندلسي

بقدر ما كان ينسِّق ويختار لباسه، فقد كان أيضا يختار الألوان التي نعتبرها اليوم ألوانا زاهية تضفي على الوجه جمالا وحسنا.

خاتمة

وفي الختام، لقد تمخضت هذه الدراسة المتواضعة عن عدة نتائج، أهمها:

إن دراسة موضوع في التاريخ الاجتماعي كالنظر في الاعتناء بالأبدان وجمال الأزياء في التراث الأندلسي تتطلب معرفة الكثير من المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بالفقه واللغة، ومعرفة مدلولاتها مع مراعاة إطارها الزماني والمكاني.

قد اهتم المجتمع الأندلسي بالبدن، وما يتعلق به من نظافة وغذاء وزينة، حيث أولى اهتماما كبيرا بنظافة الجسم والغذاء، ومراعاة مدى جودة الغذاء وسلامته، والذي يعتبر من عوامل حفظ صحة الأبدان وقوتها، والأمر الجلي في الموضوع أنه لم يكن ذكره مقتصرا فقط على كتب الطب، وإنما قد أولت له الاهتمام كتب الطبخ، ولم تكن كتب الأخبار على منأى من ذلك.

لقد استخدم الفرد الأندلسي مختلف أنواع العطور والطيب والتركيبات المزيلة للروائح الكريهة، وكان يتفنن في صنعها، حيث يتراءى للقارئ أنه أمام مخبر لصنع مختلف مواد النظافة والتجميل، فكان الأندلسي فنانا في وصف الجمال، ويتجلى ذلك في اهتمامه بالمرأة وجمالها فوصفها بمختلف مواصفات الجمال، ولكثرة اهتمامه بذلك فقد قدم لنا مجموعة من المعايير التي تبين جمال المرأة من عدمه، كما إن المرأة الأندلسية هي الأخرى اهتمت بجمالها، فكانت تستخدم مختلف مواد التجميل، وبالغت في النظافة والاهتمام بالزينة بالحلي خاصة في المناسبات.

أما بالنسبة للزي، فقد أتقن الأندلسي اختيار ألوانه وأشكاله ونسق بينها، والأمر اللافت للانتباه ذلك التنوع في اللباس، واختلافه بين الطبقات والفئات الاجتماعية، وبين الأفراد ذكورا وإناثا، صغارا وكبارا، وتخصيص الألبسة حسب الفصول ومختلف المناسبات، والاهتمام بالألوان وأوقاتها، وبصفة خاصة البياض الذي كان يتخذ في الأحزان، والذي اختص به أهل الأندلس على غيره من المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط.

إن قيم الجمال التي حافظ عليها المجتمع الأندلسي وارتقى بها منحوتة في مختلف نصوص تراثه الذي وصلنا، وتمكّنا من استخدامه، ودون شك هناك الكثير من نصوصه التي لم نعتمدها في هذا العمل، وهي جديرة بالاستقراء والتحليل أيضا، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلُّ على الرقي الحضاري للمجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط بصفة عامة، والمجتمع الأندلسي بصفة خاصة.

البيبليوغرافيا:

1- أحمد، مطلوب، (1995) **معجم الملابس في لسان العرب**، بيروت، مكتبة لبنان.

2- الأنصاري، ابن عبد الملك، (1965)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، بيروت، دار الثقافة.

3- التجيبي، ابن الحاج، (د.ت)، **نوازل ابن الحاج**، الرباط، مخطوط الخزانة العامة.

4- التجيبي، (1984)، ابن رزين، **فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان**، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

5- التلمساني، ابن صعد، (د.ت)، **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، الرباط، مخطوط الخزانة العامة.

6- التلمساني، المقري، (د.ت)، **أزهار الرياض**، تحقيق سعيد أعراب ومحمد بن تاويت، المملكة المغربية، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المغرب الأقصى والإمارات العربية المتحدة، الجزء4، ص04.

7- التلمساني، المقري، (1986)، **نفح الطيب من الأندلس الرطيب**، بيروت، دار صادر، الجزء 1، ص223.

8- الحفيد، ابن رشد، (1998)، **الكليات في الطب**، بيروت، مركز الوحدة العربية.

9- سالم، سحر عبد العزيز، (1996) "**ملابس الرجال في الأندلس**"، صحيفة الدراسات الإسلامية، المجلد 27.

10- السبتي، القاضي عياض، (2003)، الغنية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

11- السملالي، المراكشي، (1993)، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام.

12- الشريف، الإدريسي، (1983)، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص276.

13- الشريف، الجرجاني، (د.ت)، **التعريفات**، القاهرة، دار الرشاد.

14- شلبي، أحمد، (1954)، **تاريخ التربية الإسلامية**، بيروت، دار الكشاف.

15- الشنتريني، ابن بسام، (1998)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، بيروت، دار الكتب العلمية.

16- شهاب الدين، العمري، (د.ت)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ألمانيا، الجزء4، جامعة فرانكفورت، ص106.

17- العاملي، زينب، (1316)، **الدر المنثور في ربات الخدور**، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية.

18- عباس، إحسان، (1978)، **تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين**، بيروت، دار الثقافة.

19- أبو عبد الله، الزيري، (د.ت)، **كتاب التبيان**، مصر، دار المعارف.

20- عبد العزيز، الأهواني، (1972)، **على هامش ديوان ابن قزمان**، مجلة المعهد المصري، المجلد17.

21- عبد الله، ابن عسكر، (1999)، **أعلام مالقة، الرباط**، دار الأمان للنشر والتوزيع.

22- عبد الله، الأمير، (د.ت)، **الديوان**، المملكة المغربية، منشورات كلية الآداب.

23- عبد الله، الحميري، (1980)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، لبنان، مؤسسة ناصر للثقافة.

24- عثمان، الجاحظ، (1968) **البيان والتبيين**، القاهرة.

25- عمر، ابن دحية، (د.ت)، **المطرب في أشعار أهل المغرب**، بيروت، دار العلم للملايين.

26- الغرناطي، ابن غالب، (1955)، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة**، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد1، العدد1.

27- القضاعي، ابن الأبار، (1989)، **تحفة القادم**، القاهرة، دار الكتاب المصري.

28- القيرواني، البرزلي، (دت)، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا والأحكام**.

29- كاسترو، أميركو، (2002)، **حضارة الإسلام في إسبانيا**، القاهرة، الدار الثقافة للنشر.

30- اللخمي، ابن هشام، (1985)، **المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان**، بيروت، دار الكتب العلمية.

31- لسان الدين، ابن الخطيب، (1973)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، القاهرة، مكتبة الخانجي.

32- اللولوي، الزركشي، (1872)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تونس، مطبعة الدولة التونسية.

33- المالقي، السقطي، (1931)، **آداب الحسبة**، باريس، مطبعة معهد العلوم العليا المغربية.

34- محمد، ابن عبدون، (1934)، **آداب الحسبة**، باريس، الجمعية الأسيوية الفرنسية.

35- محمد، ابن غازي، (1999)، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الويتون**، الرباط، المطبعة الملكية.

36- محمد، ابن قزمان، (1980)، **ديوان ابن قزمان**، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة.

37- محمد، ابن منظور، (د.ت)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر.

38- محمد، الخطابي، (1994)، **الطبيب ابن خلصون ومذهبه في تدبير الصحة وحفظها**، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، العدد1.

39- محمد، الضبي، (1967)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، بيروت، دار الكتب العلمية.

40- محمد، المغراوي، (2006)، **الموحدون وأزمات المجتمع**، الرباط، جذور للنشر.

41- محمود، مقديش، (د.ت)، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والخبار**، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

42- المراكشي، ابن عبد الملك، (1965)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، بيروت، دار الثقافة.

43- المراكشي، ابن عذاري، (1983)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين**، بيروت، دار الثقافة.

44- المراكشي، عبد الواحد، (د.ت)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،ليبيا، دار الفرجاني للنشر والتوزيع.

45- أبو مروان، **ابن زهر**، (دت)، **التيسير في المداواة** والتدبير، دمشق، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

46- المغربي، ابن سعيد، (1955)، **المغرب في حلى المغرب**، القاهرة، دار المعارف.

47- المغربي، ابن سعيد، (1980)، **اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي**، القاهرة، دار الكتاب المصري.

48- المغربي، ابن سعيد، (1982)، **الجغرافيا**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

49- العباس، الونشريسي، (1981) **المعيار المعرب**، بيروت، دار الغرب الإسلامي. الفضل، محمد، (1996)، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، مصر، دار المعرفة الجامعية.

50- مؤلف، مجهول، (1961)، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس**، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية.

51- هويثي، ميرندا، (2003)، **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة.

52- أبو يحيى، الزجالي، (1971)، **أمثال العوام في الأندلس**، فاس، مطبعة محمد الخامس الثقافية.

1- R, Dozy ,(1845), **Dictionnaire detaille des noms des vetements chez les arabes,** Amesterdam, Jean Muller.